

المحاضرة الثالثة

ابان الحقبة الاستعمارية: اسهامات مؤرخون، ادباء علماء اجتماع

1. جاك بيرك

جاك بيرك (Jacques Berque) هو أحد أبرز العلماء والمفكرين الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة المجتمعات العربية والمغربية، وكان له إسهام كبير في دراسة الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية، خاصة في فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين. يعتبر جاك بيرك من المفكرين الذين لم يقتصر على تقديم الدراسات الأكاديمية البحتة، بل قدموا تحليلات نقدية للتأثيرات الاجتماعية والثقافية للاستعمار الفرنسي على المجتمعات الجزائرية.

1. السياق التاريخي لإسهامات جاك بيرك: جاك بيرك عاش في فترة كانت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي (1830-1962)، وهي الفترة التي كان فيها المجتمع الجزائري يعاني من الهيمنة الاستعمارية والإقصاء الثقافي والاجتماعي. في هذا السياق، قام جاك بيرك بتقديم رؤية معمقة حول تأثيرات الاستعمار على الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر، محاولاً فهم كيف أثر الاستعمار الفرنسي في تشكيل الهويات الثقافية والاجتماعية في الجزائر.

2. إسهامات جاك بيرك في دراسة الجزائر: جاك بيرك كان مهتماً بتحليل العلاقة بين الاستعمار والمجتمع الجزائري من خلال منظور سوسيولوجي وأنثروبولوجي. عمله كان يركز على دراسة التحولات الاجتماعية في الجزائر جراء الاستعمار الفرنسي. من أبرز إسهاماته:

أ. دراسة التحولات الاجتماعية: جاك بيرك كان من أوائل المفكرين الذين حاولوا تحليل التغيرات الاجتماعية الكبرى التي طرأت على المجتمع الجزائري نتيجة الاستعمار. عبر الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، تناول بيرك تغيير النظم الاجتماعية في الجزائر، وركز على التأثيرات التي تركها الاستعمار على الطبقات الاجتماعية، الأسرة، الهوية الثقافية، وحتى التقاليد.

• الاستعمار الفرنسي أدى إلى اختلالات في بنية المجتمع الجزائري، وأدى إلى إضعاف الهوية الثقافية وتفكيك الهياكل التقليدية في المجتمع الجزائري.

• اهتم بتسليط الضوء على كيفية إفقار الجزائر وإضعاف المجتمع الريفي عبر السياسات الاستعمارية مثل الاستيلاء على الأراضي وتدمير الاقتصاد الزراعي.

ب. الاهتمام بالهوية الثقافية: أحد الموضوعات التي ناقشها بيرك بشكل عميق كان هو تأثير الاستعمار على الهوية الثقافية للجزائريين. في مقارباته، كان بيرك يعبر عن قلقه بشأن كيفية تأثير الاستعمار الفرنسي على اللغة، الدين، و القيم الثقافية في الجزائر.

• أشار إلى أن الاستعمار الفرنسي سعى لتفكيك الهوية الثقافية الجزائرية عبر نشر اللغة الفرنسية وتهميش اللغة العربية والأمازيغية.

• ناقش تأثير الاستعمار على الجانب الديني، وكيف كان الاستعمار الفرنسي يسعى لتقويض الإسلام في الجزائر، باعتباره جزءًا أساسيًا من هوية الشعب الجزائري.

ج. **الاستعمار والنظام الاقتصادي:** جاك بيرك كان يلاحظ أن الاستعمار الفرنسي قد دمر النسيج الاقتصادي التقليدي في الجزائر، وأدى إلى تقوية الاقتصاد الاستعماري الفرنسي على حساب الاقتصاد المحلي. قام بتسليط الضوء على كيفية استغلال الموارد الطبيعية في الجزائر لمصلحة فرنسا، وتدمير البنية التحتية الاقتصادية الجزائرية من خلال الزراعة والصناعة.

3. **منهجيات جاك بيرك في دراسة الجزائر:** جاك بيرك كان من الباحثين الذين اعتمدوا المنهج المقارن في دراسة الجزائر والمجتمعات المغاربية الأخرى. كان ينظر إلى التاريخ الاجتماعي و الأنثروبولوجيا الاجتماعية لتفسير التغيرات التي طرأت على الجزائر في ظل الاستعمار. كما استخدم المناهج الميدانية، مثل المقابلات المباشرة والبحث الميداني في المناطق الجزائرية ليفهم تأثيرات الاستعمار بشكل أعمق.

أ. **منهج الدراسة السوسيولوجية:** جاك بيرك كان يُعتبر من أوائل الباحثين الذين اعتمدوا على المنهج السوسيولوجي الميداني لدراسة تأثيرات الاستعمار في الجزائر. استخدم الأساليب الكمية والنوعية لدراسة الأنماط الاجتماعية في الجزائر وتأثير الاستعمار على مختلف الطبقات الاجتماعية، مثل الفلاحين، والعمال، والطبقات المثقفة.

ب. **التركيز على التاريخ الاجتماعي:** على الرغم من أن بيرك كان عالم اجتماع، إلا أن مقاربته كانت تتمحور حول التاريخ الاجتماعي وكيفية تأثير الاستعمار على التفاعلات الاجتماعية بين الجزائريين أنفسهم وبينهم والمستعمرين الفرنسيين.

4. **دور جاك بيرك في فهم الثورة الجزائرية:** بالإضافة إلى أعماله الأكاديمية حول التأثيرات الاجتماعية للاستعمار، كان بيرك أحد المفكرين الذين اهتموا أيضًا ب دراسة الثورة الجزائرية (1954-1962) كان يشير إلى أن الثورة الجزائرية لم تكن مجرد حركة سياسية، بل كانت أيضًا حركة اجتماعية تعبيرًا عن الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري المقاوم للاستعمار الفرنسي.

• اعتبر بيرك أن الثورة الجزائرية كانت استجابة ضرورية للصراع الاجتماعي والاقتصادي الذي خلفه الاستعمار، وخصوصًا في ظل المعاناة الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها الجزائريون تحت الاحتلال الفرنسي.

5. **أثر جاك بيرك على الدراسات السوسيولوجية:** من خلال أعماله، ساعد جاك بيرك في تشكيل العديد من الدراسات السوسيولوجية حول الاستعمار في الجزائر، كما شكل منصة للعديد من الباحثين الجزائريين والمغاربيين الذين جاءوا بعده. قدم بيرك نموذجًا في التفكير النقدي حول الاستعمار وتأثيراته على المجتمعات المستعمرة.

كان تأثيره عميقاً على فهم التغيرات الاجتماعية التي حدثت في الجزائر نتيجة الاستعمار، وأثره لا يزال قائماً في الدراسات الحديثة حول العلاقات الاجتماعية و الهوية الثقافية في الجزائر.

الخلاصة:

جاك بيرك يعد من الشخصيات الفكرية التي قدمت إسهامات مهمة لفهم تأثير الاستعمار الفرنسي على الجزائر، من خلال دراسة التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية، و الثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري خلال تلك الحقبة. كان بيرك من المفكرين الذين استخدموا المناهج السوسيولوجية والأنثروبولوجية لفهم الواقع الجزائري، وقدم تحليلات نقدية معمقة حول القضايا التي تتعلق بالهوية والاستقلال الثقافي للشعب الجزائري، بالإضافة إلى تأثيرات الاستعمار على الطبقات الاجتماعية والاقتصاد.

شارل روبر أجرون

شارل روبر أجرون (Charles Robert Ageron) هو أحد أبرز المؤرخين والعلماء الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية. يُعتبر أجرون من الشخصيات الفكرية التي أسهمت بشكل كبير في دراسات الاستعمار وتاريخ الجزائر، سواء من خلال تحليلاته الاجتماعية أو من خلال النظر في العلاقة بين فرنسا والجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1962)

كان أجرون أحد العلماء الذين حاولوا فهم تأثيرات الاستعمار على المجتمع الجزائري من خلال مقارنة تاريخية واجتماعية متميزة، وقد ترك أعماله بصمة واضحة في الأدبيات الفرنسية حول الجزائر، سواء في فترة الاستعمار أو في ما بعد الاستقلال.

1. سياق أبحاث شارل روبر أجرون: أجرون بدأ عمله الأكاديمي في فترة كانت الجزائر تحت الاستعمار

الفرنسي، وأخذ على عاتقه تحليل جوانب من التاريخ الاجتماعي والسياسي للجزائر، متأثراً بفترة الاستعمار الطويلة وبتطورات الحركة الوطنية الجزائرية. لم يكن أجرون مفكراً بعيداً عن الوضع السياسي في الجزائر، بل كان مرتبطاً بشكل كبير بالتحولات التي عاشها المجتمع الجزائري.

2. إسهامات شارل روبر أجرون في دراسة الجزائر:

أ. الاستعمار الفرنسي وتأثيراته الاجتماعية: أجرون كان مهتماً بفحص تأثير الاستعمار الفرنسي على الهيكل الاجتماعي في الجزائر. في أعماله، قدّم تحليلات لآليات الاستيطان الفرنسي و التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية التي كان لها أثر طويل الأمد على المجتمعات المحلية.

• البنية الاجتماعية: أجرون اهتم بدراسة التأثيرات التي أحدثها الاستعمار الفرنسي في تقسيم المجتمع الجزائري إلى فئات اجتماعية مختلفة، خاصة الطبقات الفلاحية والعمالية، وكيفية تهميش السكان المحليين لصالح المستوطنين الأوروبيين.

• الزراعة: في دراساته، ركّز على النظام الزراعي في الجزائر وكيفية استغلال الأراضي من قبل الفرنسيين، وما أحدثته سياسات الاستعمار الزراعي من تفكيك النظم الاجتماعية وتدمير النظم التقليدية للزراعة.

ب. الاستيطان الفرنسي والهجرة: أجرون كان مهتمًا بدراسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر، خاصة في ظل سياسة الاستعمار الاستيطاني التي تبنتها فرنسا منذ بداية الاحتلال. استخدم أجرون مناهج تحليلية لفهم أثر الاستيطان على حياة الجزائريين، مثل:

- التهميش الاجتماعي للسكان الأصليين في صالح المستوطنين الفرنسيين.
- تحليل النظام الاقتصادي الزراعي الذي أُقيم لصالح المستوطنين الأوروبيين، وخاصة في المنطقة الغربية من الجزائر.
- التأثيرات السياسية والاجتماعية على الجزائريين في المناطق التي خضعت للاستيطان الفرنسي.
- ج. الهوية الثقافية واللغة: أجرون كان من الباحثين الذين اهتموا بكيفية تأثير الاستعمار الفرنسي على الهوية الثقافية في الجزائر، خاصة في ما يتعلق بـ اللغة العربية و اللغة الفرنسية. عمل أجرون على تسليط الضوء على النزاع الثقافي بين الجزائر وفرنسا في فترة الاستعمار، وكيف أن اللغة الفرنسية كانت تُستخدم كأداة لإضعاف الهوية الثقافية الجزائرية.
- اللغة: لاحظ أجرون أن اللغة كانت أحد أدوات الاستعمار الفعالة، فاستبدال اللغة العربية بالأدوات الثقافية الفرنسية كان جزءًا من سياسة استيعاب الثقافات المحلية وتدمير الهويات الأصلية.
- كما تناول تأثير الاستعمار على الدين، ورأى أن الإسلام كان يمثل حجر الزاوية في المقاومة الثقافية للجزائريين ضد سياسة الاستعمار، لكن الاستعمار الفرنسي سعى لتقويض هذا الجانب في المجتمع الجزائري.
- د. الاستعمار والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي: أجرون قام بمقارنة الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، محاولًا تقديم صورة دقيقة حول الحياة اليومية للجزائريين العاديين. أشار إلى أن الاستعمار الفرنسي زاد من التفاوت الاجتماعي في الجزائر، سواء في العلاقات الاقتصادية أو في الحياة اليومية.
- كان الاستعمار الفرنسي يعتمد على القوة العسكرية، لكن تبني استراتيجيات الهيمنة الاقتصادية (مثل استخدام الأراضي الزراعية) ساهم في إحداث فجوات عميقة بين الطبقات الاجتماعية.
- أجرون أشار أيضًا إلى التمييز العنصري و التهميش الاجتماعي الذي عانى منه الجزائريون نتيجة لسياسات الاستعمار الفرنسي التي لم تقتصر على فرض سلطة عسكرية فحسب، بل تمثلت أيضًا في سياسة الهيمنة الاقتصادية والثقافية.
- هـ. دور الجزائر في السياسة الفرنسية: أجرون أيضًا أظهر اهتمامًا بكيفية تأثير الجزائر في السياسة الفرنسية. قدم تحليلات حول كيف أن الجزائر كانت تعتبر مستعمرة فرنسية بشكل خاص، وكيف كان الاستعمار جزءًا من النظام الإمبراطوري الفرنسي في الشمال الأفريقي.
- أجرون تناول في تحليلاته العلاقة بين فرنسا و الجزائر، وأظهر كيف أن السلطات الفرنسية لم تعامل الجزائر كمستعمرة فحسب، بل كانت تمثل جزءًا من الهيمنة الاستعمارية على منطقة البحر الأبيض المتوسط.

2. دور أجرون في دراسة الاستعمار الفرنسي والذاكرة الاستعمارية:

إسهام أجرون في الدراسات الاستعمارية لم يقتصر على تحليل الجوانب الاجتماعية والسياسية فقط، بل اهتم أيضًا بما أسماه **الذاكرة الاستعمارية**. كانت أعماله تسعى إلى تفسير كيف أن الذكريات والصور التي أنتجت خلال فترة الاستعمار كان لها تأثير طويل الأمد على العلاقات بين فرنسا والجزائر بعد الاستقلال. فقد انتقد أجرون كيف أن **الذاكرة الاستعمارية** بقيت موجودة في **الوعي الجمعي**، مشيرًا إلى ضرورة **مراجعة التاريخ** والتعامل مع تراث الاستعمار بشكل نقدي.

3. **المنهج التاريخي الذي استخدمه أجرون:** أجرون اعتمد في دراساته على **المنهج التاريخي**

والاجتماعي. كان يجمع بين الدراسات التاريخية و الدراسات السوسيولوجية من أجل تقديم صورة

شاملة حول ما أحدثه الاستعمار في الجزائر على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كما اعتمد على المصادر الأولية مثل الوثائق الحكومية الفرنسية، ومراسلات الاحتلال، وأبحاث ميدانية من أجل فهم أعمق للعلاقات الاستعمارية. كان يدرس تأثير هذه السياسات على حياتهم اليومية وعلى هيكل المجتمع.

5. **أثر أعماله على الدراسات الاستعمارية:**

أجرون كان له تأثير كبير في إعادة الاعتبار لدراسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر من منظور نقدي. عمله ساهم في دفع الأكاديميين نحو فهم أعمق للتفاعلات بين المستعمر والمستعمرين وكيف أن **الاستعمار** ليس مجرد تاريخ سياسي بل هو عملية تدمير اجتماعي وثقافي للشعوب المستعمرة.

الخلاصة:

شارل روبر أجرون كان من العلماء الذين قدموا مقاربة تاريخية نقدية للجزائر خلال الحقبة الاستعمارية. أبحاثه سلطت الضوء على الآثار الاجتماعية والاقتصادية التي خلفها الاستعمار الفرنسي على الجزائر، وناقش مسألة الهوية الثقافية، والتفاوت الاجتماعي، والعلاقة المعقدة بين الجزائر وفرنسا. أعماله تظل واحدة من أعمق الدراسات الأكاديمية التي حاولت تفكيك آثار الاستعمار على المجتمع الجزائري وإرثه المستمر حتى بعد الاستقلال.